الآثـــــار الثقـــافية وتصنيفها

1. أهمية الحفاظ على الآثار والتراث المعماري والمخاطر التي يتعرض لها

يعتبر التراث الحضاري مبعث فخر للأمم جميعها، ويمثل ثروة فنية وحضارية ضخمة كانت، وحتى وقت قريب، عرضة للضياع والاندثار والاستغلال والهدم العشوائي، تتساقط وتخرب وليس من يحميها. وفي عصرنا الحديث وعت الشعوب أهميتها واعتبرتها إحدى الثروات الأساسية وبدأت تمنحها مكانة لائقة وأقامت مؤسسات خاصة لحمايتها وصيانتها. ونشأت علوم عديدة واختصاصات جديدة لخدمة هذه الثروة الثقافية، سواء من ناحية الدراسات والأبحاث العلمية أو من ناحية العمل التقني والفني.

ولكن حماية المباني والمواقع والمدن التاريخية تواجه عوائق كبيرة ناشئة عن فكرة جعل "التقدم" يهدم منجزات تحققت عبر قرون من الزمن. إذ أن متطلبات التخطيط العمراني الحديث تسببت بتمزيق النسيج العمراني للمدن التاريخية القديمة وأدت إلى إهمال المباني الأثرية المميزة فيها دون أن تؤمن لها وظيفة مناسبة. إن وجود النسيج التاريخي في مركز التوسعات الحديثة وارتفاع أسعار الأراضي أصبح عاملا حاسما في إهمال الأحياء القديمة وبالتالي هدمها وإزالتها. ولا زالت المدن القديمة تعاني من عدم وجود ضوابط كافية تكبح جماح النزعة الداعية إلى التخلص من الأحياء التاريخية، وغالبا ما تطبق التشريعات على آثار معينة دون أخذ الإطار المحيط بعين الاعتبار.

كما أن المنشآت والمواقع الأثرية تواجه مخاطر عديدة تؤدي إلى تخريبها أو تدميرها وزوالها ومن أهمها الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات والحرائق إضافة إلى التأثير الكارثي للحروب والنزاعات المسلحة التي تسبب أضرارا هائلة في التراث المعماري والعمراني.

ومن هنا فإن القيام بحملات لتوعية الناس وتعريفهم بأهمية التراث العمراني والمعماري وتوضيح مظاهره ومعالمه يعد واجبا وطنيا لأنه السبيل الأول إلى حماية هذا التراث والحفاظ عليه من الاندثار كي يبقى شاهداً للأجيال القادمة على التنوع والغنى الحضاري الذي كانت تزخر به سورية عبر العصور وهو الركيزة التي تعتمد عليها في مسيرتها الحديثة.

2. هـدف حمـاية الآثـار

هدف حماية الآثار هو الحفاظ على التراث الحضاري كشاهد على الماضي ونقله إلى الأجيال القادمة بأكبر قدر ممكن من الأصالة. لتحقيق ذلك لا بد من حماية الآثار الثقافية من كل التشويه أو تزييف أو التخريب أو الدمار أو إزالة يمكن أن تتعرض لها. إن حماية الآثار تتطلب تضافر جهود العديد من العلوم الإنسانية والهندسية.

لماذا تجب حماية الآثار؟

لا بد من حماية الآثار الثقافية المختلفة بشكل دائم لأن للتراث الثقافي أهمية عظيمة للمجتمع حتى يتمكن من التعرف على تاريخه من خلال شواهد مادية وحسية تعطيه صورة حية عن أسلوب الحياة وفن العمارة في العصور المختلفة.

3. الآثـــار الثقـــافية Cultural Heritage

1.2. أهميـــة الآثـــار الثقـــافية

تعد الآثار الثقافية شواهد على تاريخ الإنسان وتطوره ويجب أن يكون الحفاظ عليها وحمايتها ذو أهمية عامة بالنسبة لمجتمع ما. الآثار هي أشياء تحمل في طياتها ذاكرة، والذاكرة مرتبطة ولا شك بالإنسان أي أنها ذاكرة الإنسان المرتبطة بدلالات وشواهد على تاريخ الإنسان. وبالتالي فإن الحفاظ على هذه الآثار هو عبارة عن حفاظ على الذاكرة.

وهنا لا بد من التساؤل عن أي ذاكرة نتحدث؟ الذاكرة المقصودة هي ليست الذاكرة الفردية وإنما الذاكرة الجمعية أي ذاكرة مجتمع ما أو ذاكرة الإنسانية جمعاء. وبالتالي فإن قبر الأب أو الجد المرتبط بالذاكرة الشخصية لا يحمل قيمة أثرية إلا إذا كان قبر شخصية معروفة ذات أهمية للمجتمع أو إذا كانت طريقة بناء القبر تحمل خصائص فنية مميزة.

وعندما نقول إن الآثار شاهد على تاريخ الإنسان يشمل ذلك هذا التاريخ منذ عصور ما قبل التاريخ وصولا إلى المراحل الزمنية الأقرب إلينا.

ولكن بما أن هناك - إضافة إلى تاريخ الإنسان - تاريخ آخر مواز وسابق له وهو تاريخ الطبيعة فقد تم منذ مطلع القرن العشرين تصنيف نوع آخر من الآثار وهي الآثار الطبيعية (مثل: الكهوف، المغاور التي تشمل الصواعد والنوازل، الشلالات، الأشجار المعمرة المميزة، مناطق ذات غنى طبيعي مميز، محميات).

ويمكن في حالات خاصة أن يكون هناك تقاطعا بين الأثر الثقافي والأثر الطبيعي، كما هو الحال في بعض الكهوف الطبيعية التي تحمل رسومات أو رموز من صنع الإنسان في العصر الحجري القديم أو مثلا شجرة ضخمة تتوسط قرية فتكون مكانا لاجتماع الناس ومكانا لممارسة السياسة والقضاء في آن واحد.

أي أنه لدينا نوعان أساسيان من الآثار: **الآثار الثقافية والآثار الطبيعية**.

2.2. تعريف الآثـــار الثقـــافية

الآثـــار الثقـــافية: تُعتبر آثاراً المُمتلكات الثابِتة والمنقولة التي بناها أو صنعها أو أنتجِها أو كيفها أو رسمها الإنسان وتعود إلى عصور سابقة وتكون قد تكونت لها خصائص أثرية بفعل عوامِل الزمن ويعد الحفاظ عليها وحمايتها ذو أهمية عامة بالنسبة لمجتمع ما.

3.2. أنـــواع الآثـــار الثقـــافية

الآثار الثقافية نوعان آثار ثابتة و آثار منقولة.

1.3.2. الآثـــار الثابِتة: نوعان

- **الآثار المُتصِلة بالأرض** (الآثار الموجودة في باطن الأرض)، مثل الكهوف الطبيعية أو المحفورة التي كانت مُخصَّصة لحاجات الإنسان القديم والصخور التي رسم أو حفر عليها الإنسان صوراً أو نقوشاً أو كتابات. وكذلك أطلال المُدن والمُنشآت المطمورة في بطون التِلال المُتراكِمة.

كهف لاسكو (فرنسا):
رسومات جدارية من العصر الحجري

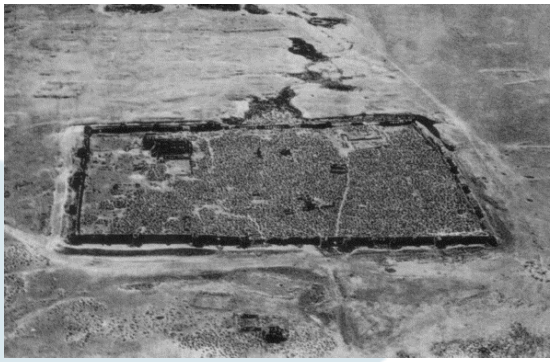

موقع الرصافة في سورية

- **الأبنية التاريخية** المُنشأة لغايات مُختلِفة وأطلال تِلك المباني، وما يتصل بِها كالأبواب والنوافِذ والأعمِدة والشُرفات والسلالِم والسقوف والأفاريز والتيجان، وما إلى ذلِك.

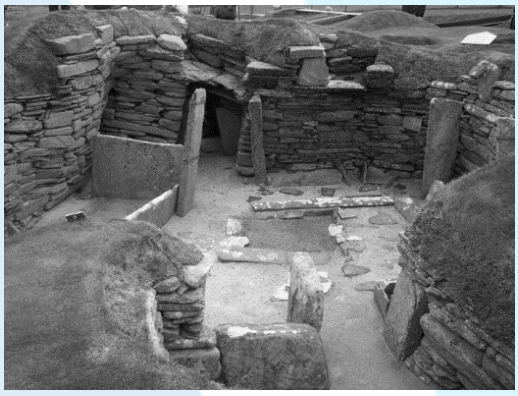

أوركناي (سكوتلندا): بيت من العصر الحجري

روما: جسر فابريسيوس

2.3.2. الآثـــــار المنقولة:

الآثار المنقولة هي الأشياء التي صُنِعت لتكون بطبيعتِها مُنفصِلة عن الأرض أو عن المباني التاريخية والتي يُمكِن تغيير مكانِها، كالمنحوتات واللوحات والمسكوكات والنقوش والمُخطوطات والمنسوجات والمصنوعات مهما كانت مادتُها والغرض من صُنعِها ووجوه استعمالِها.

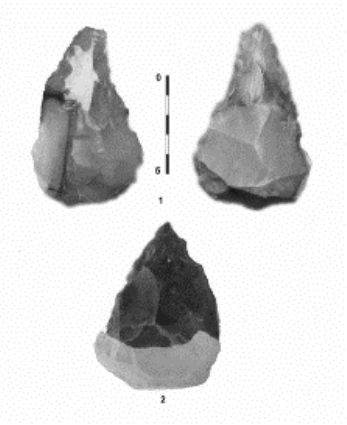

يبرود: أدوات من العصر الحجري

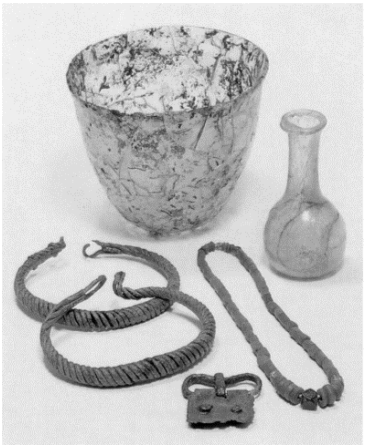

ميونيخ (ألمانيا): أدوات زجاجية وحلي معدنية

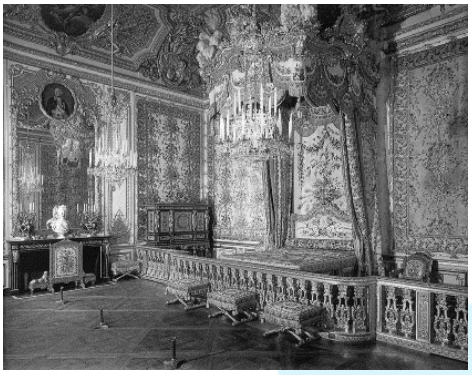

قصر فيرساي (فرنسا): غرفة الملكة

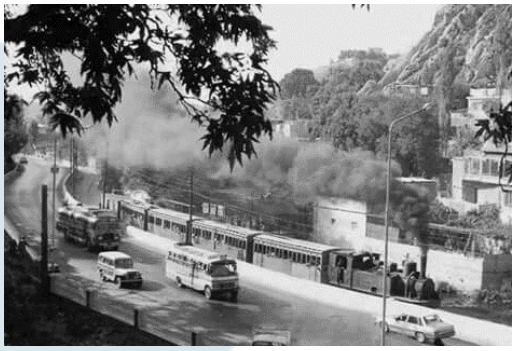

دمشق – الربوة: قاطرة بخارية

ولكن هناك الكثير من الآثار التي قد تبدو آثارا منقولة ولكنها مرتبطة بآثار ثابتة أي بمنشأة تاريخية ثابتة مما يجعلها مرتبطة بمكان معين: الأثاث الموجود ضمن مبنى أثري والمرتبط بطبيعة استخدام المبنى الأثري ووظيفته السابقة (مسجد - منبر، ثريات.../ كنيسة: الهيكل وما يرتبط به، قصر: الأثاث، بيوت الفلاحين: الأثاث). إن إزالة هذه الآثار المنقولة من مكانها قد لا تفقدها قيمتها فهي يمكن أن تحفظ مثلا ضمن متحف ولكن إبعادها عن مكانها الأصلي يفقد المبنى الأثري جزءا من أصالته ومن قيمته الأثرية. عدا عن أن درجة فهم هذه الآثار المنقولة تكون أكبر ضمن محيطها الأصيل.

كما أن هناك نوع خاص من الآثار المنقولة وهي تلك الآثار المخصصة للحركة وللانتقال من مكان إلى مكان كالعربات أو السفن البخارية أو قاطرة بخارية الخ... وما يرتبط بها من محطات قطار ومراكز صيانة وغيرها.

4. شروط اكتساب منشأة الصفة الأثرية

هل يكفي أن تكون منشأة ما قديمة حتى تكتسب صفة المنشأة الأثرية؟

هناك مجموعة من الشروط التي يجب أن يحققها مبنى قديم حتى يحمل صفة المبنى الأثري وهي:

- **يجب أن يكون من صنع الإنسان أي أنه ليس أثرا طبيعيا.**
- **يجب أن يعود إلى زمن ماض، أي أنه يحمل في طياته دلالة على عصر ما.**

وهنا تم الاتفاق على أن المنشأة الأثرية يجب أن تنتمي إلى حقبة تاريخية منتهية. (مثال: جدار برلين، أبنية من الخمسينات من القرن الماضي).

ولا بد عند الحديث عن عامل الزمن من ذكر رد الفعل الطبيعي للإنسان وللمجتمعات على المراحل السابقة للمرحلة المعاصرة مباشرة والتي لا يتم إعطاؤها أهمية أو قيمة إلا مع مرور الزمن وتكون بالتالي عرضة للزوال في كثير من الأحيان (منشآت القرن التاسع عشر، منشآت العشرينات والثلاثينات والخمسينيات من القرن العشرين...الخ).

- **يجب أن يحمل قيما تاريخية أو فنية أو علمية أو تقنية أو عمرانية أو شعبية تمنحه صفة المبنى الأثري.**
- **يجب أن يكون الحفاظ عليه وحمايته ذو أهمية عامة بالنسبة لمجتمع ما.**

<u>ما هي القيم التي يمكن أن تحملها المنشآت الأثرية؟</u>

1. **القيمة التاريخية**: تقترن بذاكرة تاريخية هامة أي أنها شاهد على فترة تاريخية معينة أو على حدث تاريخي أو أنها تذكر بشخصية هامة (قبر شخصية هامة، مبنى كان يقطنه شخص مهم....).

ترير (ألمانيا): البوابة السوداء التي تعود إلى الفترة الرومانية

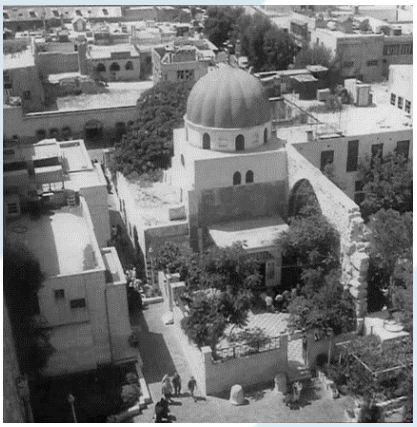

ضريح صلاح الدين الأيوبي في دمشق

2. **القيمة الفنية والجمالية**: تقترن بعمل فني لفنان هام مثل لوحة أو تمثال أو مبنى من تصميم معمار هام. كما يمكن لعمل أن يكون ذو قيمة لكونه فريد أو نادر أو لا وجود لمثله. (مبنى من طراز معماري معين أو حالة فريدة من العمارة).

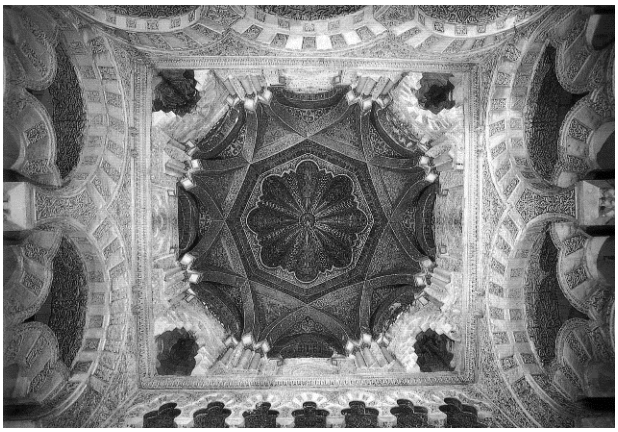

قبة المحراب في الجامع الكبير في قرطبة

برج أينشتاين (ميندلسون، 1921)
في بوتسدام (ألمانيا)

3. **القيمة العلمية**: ترتبط بأعمال ذات أهمية بالنسبة للبحث العلمي لأن دراستها تؤدي إلى نتائج هامة في دراسة تطور الإنسان ويكون للحفاظ عليها قيمة لإعداد دراسات مستقبلية. وتكون ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بعصور ما قبل التاريخ التي لا توجد فيها وثائق كتابية وفي العصور التاريخية حيث تكون مكملا وشاهدا على ما دون في الوثائق المختلفة.

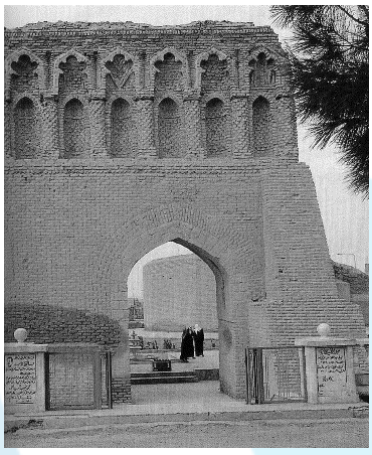

باب بغداد في الرقة

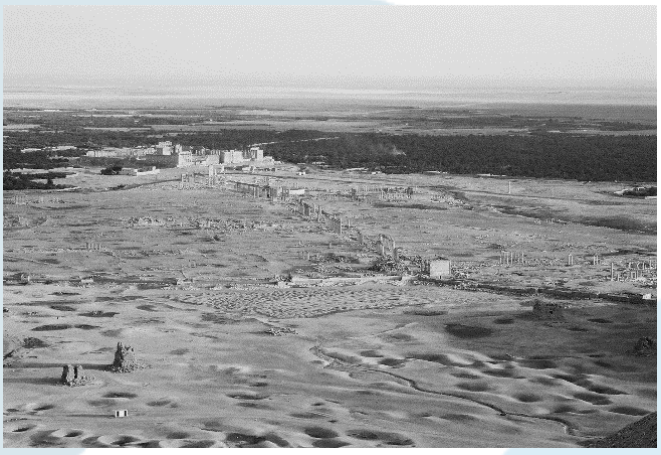

موقع تدمر الأثري

4. **القيمة التقنية**: تتوفر في أعمال تعتبر شاهدا على التطور التقني للإنسان سواء من حيث كونها تستخدم تقنية معينة كالطواحين القديمة أو منشآت ترتبط بالمواصلات أو منشآت صناعية أو بأنه تستخدم تقنية مميزة في الإنشاء كما في إنشاء القباب أو في المنشآت المعدنية.

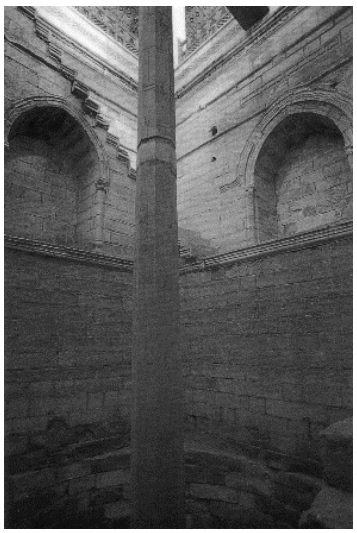

مقياس النيل في القاهرة يعود للفترة العباسية

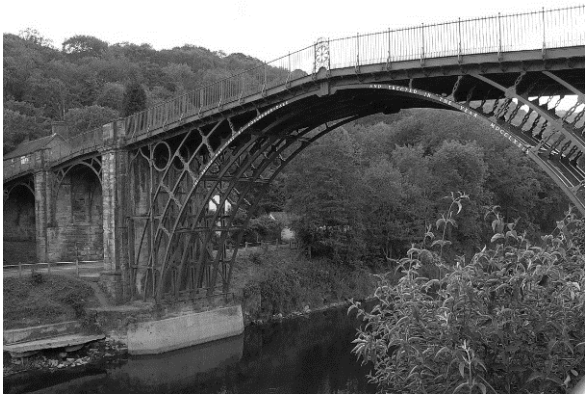

أول جسر معدني بني في بريطانيا 1779 يعرف بـ Iron Bridge.

5. **القيمة العمرانية**: أن يكون للمبنى أهمية ضمن مجموعة من المباني أو في حي معين، كأن يكون مبنى ضخما مسيطرا ضمن النسيج العمراني أو أن يكون رمزا هاما ضمن المدينة أو أن يكون نقطة علام في محيطه. أو على العكس يمكن أن يكون بمقياسه الطبيعي وحدة عمرانية عبارة عن عنصر مكمل ضمن التكوين العمراني. أو يمكن أن يحمل في طياته فكرة أو تصميما عمرانيا مميزا يعبر عن حقبة معينة.

الجامع الكبير في أصفهان

بيازا نافونا في روما

6. **القيمة الوطنية والشعبية**: كأن يكون المبنى مقرا سابقا لحركة وطنية أو منزلا لقائد شعبي. أو أن يكون المبنى نموذجا لسكن بسيط في الريف أو المدينة حافظ على ميزاته الأصيلة.

بيت الشيخ صالح العلي في الشيخ بدر - ريف طرطوس

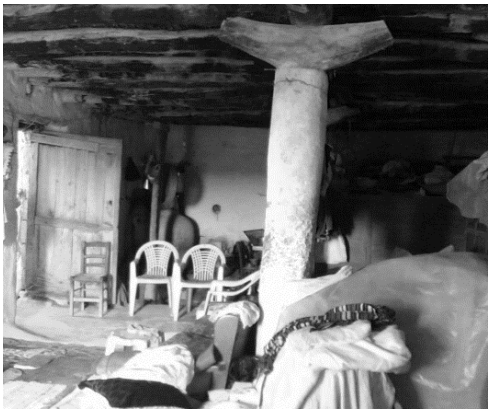

بيت يونس في عين البيضا - ريف اللاذقية